مجموعة ريماركس لتحليل العنف السياسي: هجوم شاطئ بونداي وتطوّر ملامح هجمات الذئاب المنفردة في أستراليا

ماذا حدث؟

في 14 كانون الأول / ديسمبر 2025 نفّذ أب وابنه، ساجد أكرم (50 عاما) ونويد أكرم (24 عاما)، عملية إطلاق نار جماعي في متنزه آتشر بارك عند شاطئ بونداي في سيدني، خلال احتفال عام بعيد الأنوار (حانوكا) نظمه مركز تشاباد في بونداي بحضور يقارب ألف شخص. استخدم المهاجمان أسلحة نارية مرخّصة ومسجّلة باسم الأب، وأطلقا النار من جسر للمشاة ومن موقف سيارات قريب على الحشود المتجمعة لحضور مراسم إضاءة الشمعدان؛ ما أسفر عن مقتل 16 شخصا وإصابة 43 آخرين، ليصبح الهجوم أكثر حادث عنف سياسي دموي في التاريخ الأسترالي منذ مجزرة بورت آرثر. قُتل الأب برصاص الشرطة في مكان الحادث، بينما أُصيب الابن إصابات خطيرة وهو حاليا قيد الاحتجاز تحت الحراسة في المستشفى. سارعت الشرطة وأجهزة الاستخبارات إلى تصنيف الهجوم كعمل إرهابي مستلهم من أيديولوجيا ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية، بعد العثور على رايات للتنظيم وعبوات ناسفة بدائية الصنع في مركبة مرتبطة بالمهاجمين، فيما وصفت السلطات الهجوم بأنه اعتداء معاد للسامية بشكل صريح استهدف اليهود خلال احتفال بحانوكا. في الوقت نفسه أبرزت وسائل الإعلام دور المارّ أحمد الأحمد، الذي ركض باتجاه أحد المسلحين، وطرحه أرضا من الخلف ونزع بندقيته منه، متحمّلا إصابات بطلقات نارية خلال الاشتباك.

ماذا يعني ذلك؟

يبرز هجوم بونداي كيف يمكن لخلية عائلية صغيرة أن تحقق مستوى عاليا جدا من الفتك بوسائل محدودة، عندما تجتمع إمكانية الوصول القانوني إلى السلاح مع التزام أيديولوجي قوي ومستوى متدن من السرية العملياتية. تشير التحقيقات إلى أن الهجوم كان مدفوعا بأيديولوجيا جهادية على نمط ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية وبمعاداة السامية، مع العثور على رموز للتنظيم وعبوات ناسفة بدائية في موقع الهجوم، ومع كون نويد معروفا لأجهزة الأمن منذ عام 2019 بسبب صلاته بشبكات متطرفة وواعظ راديكالي. بالنسبة للجاليات اليهودية، فإن اختيار هدف يتمثل في احتفال ديني عائلي مفتوح في حي يهودي مركزي يبعث برسالة واضحة مفادها أن الفعاليات المجتمعية العلنية، حتى عندما تبدو مرئية ومحميّة، تبقى عرضة للاستهداف، ما يغذي نمطا عالميا أوسع من الهجمات على الكنس والأسواق في الأعياد والمدارس اليهودية، المرتبط بحرب غزة وتصاعد معاداة السامية.

من منظور تحليل التهديدات، يتحدّى هذا الملف بعض الافتراضات الشائعة حول العمر ومخاطر ما يسمى بالذئاب المنفردة. كثيرا ما قاد الهجمات الجهادية أو الهجمات الفردية المستلهمة من أيديولوجيات متطرفة في الدول الغربية رجال في أواخر سن المراهقة أو بداية العشرينات. في هذه الحالة يبلغ الفاعل الرئيسي 50 عاما، فيما يبلغ ابنه أوائل العشرينات، وساجد هو صاحب رخصة السلاح ومن يملك إمكانية الوصول إلى الأسلحة منذ فترة طويلة. من المهم الإشارة إلى أن هذه الواقعة تقدم فاعلا رئيسيا أكبر سنا من الصورة النمطية لـ"الشاب المنفرد"، ما يوحي بأن التطرّف بين الأجيال داخل الوحدات العائلية يمكن أن يخلق وضعا يوفر فيه الوالد الأكبر سنا السلاح والخبرة والغلاف الاجتماعي، بينما يضيف القريب الأصغر سنا حدّة أيديولوجية وروابط عابرة للحدود، مثل سفر الاثنين مؤخرا إلى الفلبين حيث تنشط جماعات تابعة لما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية.

العواقب؟

على المستوى الداخلي في أستراليا يدفع هجوم بونداي بالفعل نحو تشديد ملحوظ في سياسات السلاح وسياسات مكافحة الإرهاب. فقد اتفقت الحكومة الفدرالية والولايات، من حيث المبدأ، على حصر ملكية السلاح بالمواطنين، وتقييد عدد وأنواع الأسلحة النارية التي يمكن للفرد حيازتها، وتسريع إنشاء سجل وطني للأسلحة النارية، مع خطط واضحة لدمج التقييمات الاستخباراتية في قرارات منح التراخيص بدلا من الاعتماد أساسا على السجلات الجنائية. تتعرض أجهزة الأمن لضغط واسع لشرح سبب عدم مراقبة نويد، المعروف لدى منظمة الاستخبارات الأمنية الأسترالية (ASIO) منذ عام 2019، عن قرب أكبر، ومن المتوقع إجراء مراجعات لعتبات بدء المراقبة، ولمؤشرات الإنذار المبكر مثل السفر إلى مناطق يرتبط فيها نشاط جهادي في الفلبين، ولنوعية المخاطر التي تطرحها الأسر التي يجمع فيها فرد واحد بين مؤشرات التطرّف وإمكانية الوصول القانوني إلى السلاح. كما أدى الهجوم إلى زيادة واضحة في مستويات الحماية للمؤسسات والمدارس والفعاليات اليهودية في أستراليا ونيوزيلندا، وإلى تجديد النقاش الوطني حول معاداة السامية، وعلاقات الدولة مع المجتمعات المسلمة، وحدود خطاب الكراهية على الإنترنت.

وعلى المستوى الدولي من المرجح أن يصبح الحادث نقطة مرجعية أساسية في النقاشات حول العنف السياسي المعادي للسامية والعنف المستلهم من ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية في البيئات التي تخضع لرقابة مشددة على السلاح. يؤكد الهجوم أن الأعياد الدينية والتجمعات اليهودية العامة تبقى أهدافا رمزية عالية القيمة للعنف السياسي، وقد يشجع مخططات تقليد تنفّذها خلايا صغيرة تحاول استنساخ "نموذج بونداي" القائم على استخدام عدد محدود من الأسلحة الطويلة في أماكن رمزية مكتظة. ويتوقع ازدياد مثل هذه الهجمات بعد الحرب على غزة.بالنسبة لمحللي المخاطر وصناع السياسات يعزز هجوم بونداي الحجة لصالح توسيع نماذج الفاعلين الفرديين بحيث تشمل الرجال الأكبر سنا الذين يملكون تاريخا طويلا مع الأسلحة النارية، خصوصا عندما تظهر مؤشرات على انزياح أيديولوجي أو علاقات مع متطرفين أو وجود أقارب سبق أن أدرجتهم الأجهزة الأمنية ضمن قوائم المراقبة، ولإدماج هذا النموذج الأوسع في برامج وقاية مجتمعية وأطر ترخيص مستقبلية أكثر حساسية للمخاطر.